

الرَّسَالَة ٢٤

أولَيْسَتْ حُلُولُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْمَشَاكِلِ الْعَالَمِيَّةِ الْمُعاصرة عتيقة؟

(Arabic - Isn't the Bible outdated for the world's problems?)

- حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرنى وجواب أفنعنى .
وسؤال هذه الحلقة : أولَيْسَتْ حُلُولُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْمَشَاكِلِ الْعَالَمِيَّةِ الْمُعاصرة عتيقة؟
يجيبنا على هذا السؤال: ¹ Cliffe Knechtle
فى كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.
وقد حصلنا على تصريح كتابى من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية.

قال لى أحد رفقائى فى نيويورك: إن ما تقوله حسنٌ وجميلٌ.. ولكنه عتيقٌ عفا عليه الزمن!. ربّما كان السيّد المسيح مناسباً لقوم عاشوا منذ ألفى سنة هناك فى الشرق الأوسط ولكنّ البشرَ فى عصرنا هذا رجالاً ونساءً يواجهون حجماً ضخماً من المشاكل العويصة والتحدّيات المحيرة.. فى ترى ما موقف المسيح من هذه المشاكل المعقدة التى يواجهونها؟. وهل من حلول عنده لها؟. ثمّ قال: أنا شخصياً لا أرى حلاً لها إلا إذا كان حلاً سياسياً.

إنّ هذا الأمر فى غاية الأهميّة ويلزمنا أن نتحدّث عنه.. ولا بدّ من طرح ذلك السؤال الهام وهو: ما واجبنا لنفعلهُ تجاه تلك المشاكل؟. ما الحلّ؟. إنّ الشرّ قائمٌ أينما حللنا.. ولا يجوز أن نقف مكتوفى الأيدى.. هناك حلولٌ كثيرة مطروحة ومختلفة لِمَا تواجهه الإنسانيّة من مشاكل متعدّدة.. فبعضُ الناس يعتقدون أنّه بحجّم أكبر من التكنولوجيا سوف يجدون حلاً لتلك المشاكل.. ولكن إذا نظرنا إلى ألمانيا النازية وكانت فى ذلك الوقت من أعظم الدول المتقدّمة من الناحية التكنولوجية.. وفكرنا فيما فعلته بما توفّر لها من علم وتكنولوجيا.. لقد فجّرت وقتها حرباً عالميّة فتكت بجماهير غفيرة من الأبرياء فى إيادة جماعيّة مستخدمة تلك التكنولوجيا المتطورة!. لو حكمنا حكماً عادلاً بوحي ضمائرنا سنقتنع أنّ التقدّم التكنولوجى ليس حلاً لِمَا تواجهه الإنسانيّة من مشاكل.

ويعتقدُ آخرون أنّه بانتشار التعليم والثقافة سنجدُ الحلّ الأمثلّ لما يعانى الناس من مشاكل.. ويَدعون أنّه إذا وجّهنا اهتماماً أكبر بنشر العلم.. سيصير بذلك كلّ شيء على ما يُرام.. ولكن ما نراه بأعيننا لا يُبشر بخير إطلاقاً.. فماذا نحن فاعلون بما حصلنا عليه من علوم حديثة متطورة؟. بماذا نجيب على هذا السؤال الخطير؟. هل نحن بما حصلنا عليه من تقدّم علمى نفق أكثر على البحوث الجادة المتعمّقة لاكتشاف علاج ناجح لداء السرطان مثلاً أم نشيّد عدداً أكبر من الصواريخ الذرية المدمرة؟!. ماذا يحدث لو أن الأسرار العلميّة التى يحتفظ بها علماء الذرة وصلت لأصحاب العقول الذكيّة الإرهابيين؟!. إنّ التقدّم العلمى ليس حلاً لِمَا تواجهه الإنسانيّة من مشاكل.

ويزعمُ آخرون أنّ الحلّ الصحيح لمشاكلنا هو الحلّ السياسى. ولكن إن كان حقاً ما يقولون. فلماذا لا نلمسُ الدليلَ على صحّة ما يزعمون؟. أولسنا نتحرّك فى بلادنا الأمريكّية فى اتجاه واضح نحو نظام سياسى متفوق متكامل العناصر؟. فإذا كان الحلّ السياسى هو الحلّ الأصوب والعلاج الفعّال للمشاكل المتراكمة. فلماذا مشاكلنا باقية مع أنّ بلادنا تتمتع بنظام سياسى ديموقراطى متقدّم!.

ونسعُ آخرين يقرّرون أنّ الحلّ الأكيد لأى مشكلة من المشاكل هو فى المال إذا توفّر. ويقولون: إذا واجهتكَ مشكلة. تعال إليها بمزيد من الدولارات. ستجد هذه المشكلة وقد حُلّت من تلقاء نفسها!. بنظرة فاحصة للدول الغنيّة فى العالم نرى هولاً ما تعانىه تلك الدول من حالات الاكتئاب النفسى والطلاق وإدمان الخمر والمخدرات وحالات الانتحار.. كانوا يطمعون فى الوصول إلى ما يُسمّى بالمجتمع الفاضل المثالى عن طريق حصول كل فرد على قدر أكبر من المال. واعتقدوا أنّه إذا كثرت أموالهم تغلبوا على مشاكلهم.. إنّ سفر الجامعة الأصحاح الثانى يسجل: "فإذا الكَلّ باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس"¹. ما طمعوا فى الوصول إليه كان

¹ استمع إلى الإنجيل

² سفر الجامعة ٢: ١١

وهما وخيالاً.. سعوا نحو المال ظناً منهم أنه هو الحلّ ولكن خاب ظنّهم فما أوصلهم سعيهم هذا إلى مرامهم.. بل وجدوا أنفسهم يسبحون في بحر مضطرب تلاطمهم فيه أمواج اليأس والفشل.

إنّ مشاكلَ البشر لا يحلها أحدثُ ما يصلُ إليه البشرُ منْ تكنولوجيا أو أعلى مستوى من العلم والثقافة ولا باختيار أفضل نظام سياسي ممّا تعجّ به كتب السياسة والاقتصاد ولا بجمع المال.. إنّ مشاكلَ البشر تتمثّل أولاً وأخيراً في حالة القلب البشري.. فالحقيقة أنّنا نعاني من انحراف أخلاقي لأننا نتجه نحو إشباع غرائزنا وميولنا الذاتية ونركز على شهواتنا الجسدية والنفسية هذه هي مشكلتنا أنّنا مكبلون بتلك القيود.. ولقد قال السيّد المسيح: الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور.

وجاء بإنجيل مرقس الأصحاح السابع قول يسوع المسيح: "لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة.. زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل.. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتتجس الإنسان". من ذلك نستنتج أن المشكلة التي يواجهها العالم ليس لأنّ هناك نظاماً سياسياً خاطئاً.. إنّ المشكلة التي يواجهها العالم تكمن في داخلي وفي داخلك وأساسها أنّنا محبّون لذواتنا.. نتحرّك لكي نقتنى لأنفسنا بكل ما نملك من جهد.. ولا عجب أنّ تندلع الحروب في كلّ وقت.. ولا عجب أنّ نرى فجوة عظيمة بين الأغنياء والفقراء.. فنحن إذ نركز على ميولنا وأطماعنا الذاتية.. نتحرّك في اتجاه يبعدنا تماماً عن الله ويحرماننا من رؤيته.. ولقد حدّد يسوع المسيح أساس المشكلة.. وهو انفصال البشر عن الله.. إذ مال كلّ واحد إلى طريقه.. فعميت العيون وما عادت تبصر طريق الله بوضوح.. لقد جاء بسفر إشعياء الأصحاح الثالث والخمسين العدد السادس عن حالتنا نحن البشر في بعدنا عن الله.. وبناء عليه أرسل الابن الوحيد ليحمل على الصليب خطايانا وتعدياتنا: "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تاديب سلامنا عليه وبحبره شفيانا.. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا".^١

إنّ يسوع المسيح في علاجه لمشاكلنا يضع الحلّ الجذري وبأسلوب قاطع.. قد تبدو لنا كلمة الله عادية لكثرة سماعنا إيها.. ولكن حين نتأمّل حديث الربّ عن الميلاد الثاني وكيف أنّ هذا الميلاد يحدث من فوق.. ندرك أنّ ما يقصده الرب هو حدوث التغيير الجذري في حياة الفرد.. إذ أنّ الإنسان بالميلاد الثاني يختبر حياة جديدة تماماً.. فليتنا نأتى إلى ذلك الذي أحببنا وأسلم نفسه لأجلنا. (لأجلك أنت أختي العزيز ولأجلي أنا المتحدّث إليك). نطلب صفحته وغفرانه مخلصين في توبتنا وفي طلبنا.. سنستأنف في الحال علاقة صحيحة حقيقية مع الله.^٤

ربما تكون الطريقة التي يقدّم بها بعض الوعاظ رسالة المسيح اليوم غير وافية بالعرض أو تثير شكوكاً.. ولكن ليس بسبب إخفاق هؤلاء نصدر حكماً عاماً.. فالنتائج الموقفة التي نلمسها في الذين حصلوا على التغيير وتجديد القلب بتسليم حياتهم للسيّد المسيح.. دليل على الأسلوب الناجح الذي يقوم به المؤمنون الحقيقيون في توصيل الرسالة.. لنعلم أنّ الوعود الجميلة التي يهبر بها بعض الناس بعضهم الآخر بحلّ سياسي أو اقتصادي للوصول إلى المجتمع المثالي هي سراب يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.. فالسيّد المسيح وحده يعرف ما يلزمنا لحلّ مشاكلنا.. ألا وهو التغيير الجذري الذي لا بدّ من حدوثه في القلب البشري.. وليس من بديل على الإطلاق.. والسيّد المسيح نفسه هو الكفيل بذلك التغيير في قلوب النفوس المشتاقة لعمل الروح القدس فيهم.

أدعوك أختي كي تشترك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. قلباً نقياً أخلق فيّ يا الله وروحاً مستقيماً جدّ في داخلي.. أسألك ربّي نعمة كي أحيا حسب ما يرضيك.. متمماً مشيئتك عاملاً بوصاياك.. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار واثقاً من استجابتك لأنني متكل على وعدك الصادق يا من قلت: من يقبل إلي لا أخرجّه خارجاً.

أختي القارئ العزيز.. إنّ أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

وإنّ أردت سماع تلك الرسالة بالإنجليزية من Cliffe Knechtle ستجد ذلك في:

<http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html>

^١ إنجيل متى ١٢: ٣٥

^٢ إنجيل مرقس ٧: ٢١ - ٢٣

^٣ سفر إشعياء ٥٣: ٥ - ٦

^٤ إنجيل يوحنا ٣: ٦ - ٨ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ١٧